أُمَّتي! ليس يُهزَمُ الـ ـفنُّ في أُمَّة الشَّمَمْ
أُمَّتي! ليس يخذلُ الـ ـجُودُ في أمَّة الكَرَمْ
أُمَّتي! أُمَّةُ العلا وأبي الهول والهَرَمْ

* * *

ساعة التذكار

أُلقيت في حفلة الذكرى التي أقامتها جماعة الأدب المصري
بالاسكندرية لمرور عام على وفاة المرحوم
أحمد شوقي بك

شَجنٌ على شَجنٍ وحرقةُ نارِ
مَنْ مُسعدِي في ساعةِ التذكارِ
قُمْ يا أميرُ!أفِضْ عليَّ خواطراً
وابعث خيالَكَ في .النسيم الساري
واطلع كعهدك في الحياةِ فراشةً
غراءَ حائمةً على الأنوارِ
يا عاشقَ الحرية الثكلى أَفِقْ
واهتفْ بشعرك في شباب الدارِ
يا مَنْ دعا للحق في أوطانهِ
ومضى ليهتفَ في ديار الجارِ
الشامُ جازعةٌ ومصرُ كعهدها
نهبُ الخطوب قليلةُ الأنصارِ
والحظُّ أطمارٌ كما شاءَ البلَىٰ
والعيشُ رثٌّ والسنونُ عوارِ

* * *

عامٌ مضى يا للزمان وطيِّه
فينا ويا لسواخر الأقدارِ!

عـامٌ مـضى وكـأنّ أمس نـعيُّـه
يـا مـا أقـلَّ العـامَ في الأعمـارِ!
أيْـنَ الامـارة والأمـيـرُ ودولـةٌ
مـبسـوطـةُ الـسلطان فـي الأمصـارِ
خمسـون عـامـاً وهي وارفـةُ الجنَى
تـحت الـربـيـعِ دؤوبـة الأثمـارِ!
مَـدَّ الخـريفُ على الـريـاض رواقَـهُ
ومضى الـربيـعُ الضـاحـكُ النّـوارِ!

* * *

هيهـات أنسىٰ قبـلَ بينـك سـاعـةً
جمعتْ صحابَك في غـروب نهار[1]
والشمس في سقم الغروب وأنتَ في
لـونِ الشحـوب مـعصفـرٌ ببـهـارِ
منحتْ وقـد ذهبت شعـاعـاً غـاربـاً
كـسـنـاكَ طـوّافـاً عـلى الـسّـمـارِ
تشكـو ليَ الضعفَ الملمَّ لعـلَّ في
طـبي مـقيـلاً مِـن وشيـكِ عـثـارِ
وكشفتَ عن متهـدِّمٍ جـال الـردىٰ
مـتهـجمـاً فـي صَـرحـه المنهـارِ
فـرأيتُ ما صنـع الضنى في صـورةٍ
حـالـتْ، وخلى هـيكـلاً كـإطـارِ
ووجمتُ! المـحُ في الغيـوب نهـايـةً
وأرى بـعيـنـيَ غـايـةَ الـمـضـمـارِ
وأرى النبـوغَ وقـد تهـاوى نجمُـه
والـعـبـقـريـةَ وهـي فـي الإدبـارِ!
أوَلم يكن لـك من زمـانِـك ذائـداً
وثـبـاتُ ذهـن مـاردٍ جـبـارِ؟

---

(١) يشير الى اجتماع مجلس (جمعية أبولو) في كرمة ابن هاني في يوم ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٣ .

أوَلَمْ يكن لكَ من حِمامِك عاصمٌ
ذاك الجبينُ مكللاً بالغارِ؟
ولَّيتَ في إثر الذين رثيتهُم
واقمتَ فيهم مأتمَ الاشعار
وسُقيتَ من كأسٍ تطوف بها يدٌ
محتومةُ الاقداح والأدوارِ
والدهرُ يقذف بالمنايا دفَّقاً
فمضيتَ في متدفق التيارِ

* * *

في ذمة الاجيالِ ما غنَّت به
قيثارةٌ سحريةُ الاوتارِ
صدحتْ بألحان الحياة ووقَّعتْ
أنغامَها المحجوبة الأسرارِ
والفنُّ ما حاكى الطبيعةَ آخذاً
منها ومن إعجازها بغرارِ
مسترسلاً رحباً كعينِ ثرّةٍ
شتى السيولِ سحيقةِ الأغوارِ
متعالياً حتى الأشعةِ مشرقاً!
متألقاً كالكوكبِ السيَّارِ!

* * *

شوقي! نظمتَ فكنت برّاً خيِّراً
في أمة ظمأى الى الأخيارِ!
أرسلتَ شعرَك في المدائن هادياً
شبهَ المنارِ يطوف بالأقطارِ
تدعو إلى المجد القديمِ وغابرِ
طيّ القرون مجلَّلٍ بوقارِ!
تدعو لمجدِ الشرق: تجعل حبَّهُ
نصبَ القلوب وقبلةَ الأنظارِ!
تبكي العراقَ اذا استُبيحَ ولا تضَنّ

عـلى الشـآم بـمـدمـعٍ مـدرارِ
وتـرى الـرجـالَ وقـد أُهين ذمـارهم
خـرجـوا لصـون كـرامـةٍ وذمـارِ
فلو استـطعتَ مـددتَ بين صفـوفهم
كـفّـاً مـضـرجـةً مـع الاحـرارِ!

* * *

مـا زلتَ تُبعثُ في قـريضِـكَ ثـاويـاً
أو مـاضـيـاً حَفِـلاً بـكـلِّ فخـارِ
حتى اتُّهمتَ فقـالَ قـومٌ: شـاعـرٌ
نـاجى الـطلولَ وطـاف بـالآثـارِ!
فجلوتَ ما لَم يشهدوا، ورسمت ما
لَم يعهـدوا من مـعجـز الافـكـارِ!
شيـخٌ يـدبُّ الى الاصيـل وقلبُـهُ
وجنـانُـهُ فـي نـضـرة الأسـحـارِ
ويحسُّ تبـريـحَ الصبـابَـةِ واصفـاً
مـجنـونَ لـيلى فـي سحيقِ قـفـارِ
ويـروح يبعث كليـوبـاتـرا نـاشـراً
تلك العصـور وطيفَهـا المتـواري!
ويـرى الحيـاةَ الحبَّ والحبَّ الحيـا
ةَ! همـا شعـارُ العيش أيُّ شعـارِ

* * *